يوسف القرضاوي

ورعايته للمقاصد الشرعية

إعداد

م. محسن علاوي خلف

كلية العلوم الإسلامية _ جامعة سامراء

المبحث الأول

يوسف القرضاوي

المطلب الأول

أسمه ، ولادته ، تعليمه .

مولده ونشأتهوتعليمه :

هو الشيخ الدكتور يوسف ابن عبد الله ابن الحاج علي ابن يوسف القرضاوي يكنى بأبي محمد ، ولد في مصر بتاريخ١٩٢٦/٩/٩م ونشأ فيها. وكانت ولادته في قرية (صفط تراب) من توابع المحلة الكبرى من أعمال المحلة الغربية ، ويصف الشيخ قريته هذه ويقول انها عريقة في القدم وقد شرفت بقبر أخر صحابي توفي في مصر وهو عبد الله ابن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه ، وقد شاء الله أن يستأثر بوالده الذي لم ينجب سواه ، وهو في الثانية من سنيه ، وقد كفله عمه وقد أحاطه بالعناية والرعاية ، وفي الخامسة من عمره ألحق بأحد الكتاتيب ليحفظ القرآن ، ثم في السابعة من عمره أدخل المدرسة الإلزامية ، يقول الدكتور عن نفسه : وقبل أن أبلغ العاشرة أكرمني الله فأتممت حفظ القرآن الكريم حفظاً لا أكاد أضيع منه حرفاً مع الإلمام بأحكام التجويد ، ويتابع الشيخ قائلاً : " ومن يومها أصبحت في نظر أهل قريتي (الشيخ يوسف) وبسبب ما من الله به علي من حسن التلاوة كثيراً ما كانوا يقدمونني لأؤمهم في الصلاة وبخاصة الصلاة الجهرية .[١] وقد أحيط الشيخ في طفولته بعناية وحب من أهل والده ووالدته على حد سواء ، فقد كان محبوبا ومكرماً .[٢] وفي أعقاب تخرجه في المدرسة الإلزامية ، بعد حفظ القرآن ، كان لا بد له وعلى الأصح لأهله من أن يختاروا له الطريق الذي سيسلكه من الحياة .

ويتابع الدكتور محمد مجذوب وهو يتحدث عن بداية الشيخ العلمية فيقول : أما الشيخ القرضاوي حينها فلم يكن أحب إليه من متابعة المسلك العلمي الذي اجتاز مرحلته الأولى ، وراح يتطلع إلى ما وراءها ، وقد شاقه ما تحقق للمشايخ المرموقين أبناء قريته من مستوى أهلهم لاحترام الناس ، فود لو يتاح له مثل سبيلهم إلى الأزهر. إلا أن عمه لم يكن على مثل رأيه ، فهو على

---

١) ينظر علماء ومفكرون عرفتهم محمد المجذوب دار الشواف للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٩٩٢ م :٤٦١ _ ٤٦٢

٢) ينظر يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء ، الشيخ عصام تليمة ، دار القلم دمشق ط١ ،٢٠٠١ : ١٢

الرغم من حبه للعلم ، وحرصه على تشجيع ربيبه الذكي ، لا يرى ذلك من مصلحته لأن طريق العلم طويل طويل ، ومع طوله لا يضمن لصاحبه العيش المنشود ، هذا فضلاً عن انصرافه إلى طلب العلم يتطلب من النفقة ما تضيق عنه قدرتهم ، ولهذا حاول إقناعه بتعلم حرفة توفر له وسائل العيش من أقرب طريق . غير أن رغبة الفتى كانت أقوى من حجة عمه ، فما زال يحاوره في ذلك ، ويسهل له الأمر بما يظهر من استعداده للاكتفاء بأقل القليل من النفقة ، حتى انشرح صدر عمه لتحقيق أمنيته ، وساعده في ذلك أبناء عمه الذين أعلنوا استعدادهم للتضحية بكل شيء في سبيل تعليمه ، وكان لوجود ابن عمة له طالباً في الأزهر أثر مشجع على ذلك لأنه سيرعاه هناك ويسكن معه.

التعليم

حفظ القران الكريم وهو دون العاشرة،، فالتحق أولاً بمعهد طنطا الديني الابتدائي حيث قضى أربع سنوات ، انتقل بعدها إلى معهدها الثانوي الذي استمر فيه خمس سنوات ، ومن ثم رحل إلى القاهرة للدراسة العالية في الكليات ، بعدها التحق بالأزهر الشريف حتى تخرج من الثانوية و كان ترتيبه الثاني على مملكة مصر حينما كانت تخضع للحكم الملكي ثم التحق الشيخ بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ومنها حصل على العالية سنة ١٩٥٣ وكان ترتيبه الأول بين زملائه وعددهم مائة وثمانون طالبًا . حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة. حصل يوسف القرضاوي على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب في سنة ١٩٥٨، لاحقا في سنة ١٩٦٠ حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، وفي سنة ١٩٧٣ م حصل على (الدكتوراه) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، وكان موضوع الرسالة عن "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية .

عمل بعد تخرجه في مراقبة الشؤون الدينية بالأوقاف، وإدارة الثقافة الإسلامية بالأزهر، ثم أعير إلى قطر مديراً لمعهدها الديني، فرئيساً مؤسساً لقسم الدراسات الإسلامية بكليتي التربية فعميداً مؤسساً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ومديراً لمركز بحوث السنة والسيرة الذي كلف بتأسيسه ولازال يديره .[1]

(١) ينظر علماء ومفكرون عرفتهم : ٤٦٢ _ ٤٦٣ .

المطلب الثاني

شيوخه ، تلامذته .

شيوخه :

يقول الشيخ القرضاوي : " إن أعظم الشخصيات أثراً في حياتي الفكرية والروحية هي شخصية الشهيد العظيم حسن البنّا ، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة .. هذا مع أنني لم أعايشه كما عايشه غيري ، فقد كان رضي الله عنه في القاهرة وكنت في طنطا طالباً ، ولكني استمعت إليه في طنطا عدة مرات ، ورحلت وراءه إلى بعض البلاد لأراه وأستمع إليه ، كما قرأت تقريباً كل ما كتبه من رسائل ومقالات".

ويصف الشيخ انطباعاته عن الإمام البنا فيقول : " كان رحمه الله في حديثه إذا تحدث ، وفي كتاباته إذا كتب ، يمثل السهل الممتنع ، ويؤثر في العقل والقلب معاً ، فهو معلم وواعظ بالفطرة الموهوبة والدربة المكتسبة جميعاً . أذكر أني استمعت إليه وأنا طالب في السنة الأولى من معهد طنطا الابتدائي يتحدث بمناسبة الهجرة النبوية ، فوعيت كلامه على صغر سني ، وأكاد أحفظه من ذلك اليوم. كان واسع المعرفة ، غزير المادة ، أخرج مجلة " الشهاب " الشهرية وكان يحرر جل أبوابها بقلمه ، فهو يكتب في "التفسير" و " العقائد " و " مصطلح الحديث " و " التاريخ الإسلامي " وفي أصول الإسلام كنظام اجتماعي .. كل ذلك بإجادة وأصالة رغم أنه لم يكن متفرغاً للعلم والبحث ، فقد كانت الدعوة ومتطلباتها تستغرق معظم وقته ولذلك كان من وصاياه " الواجبات اكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته " .

إن استرسال الشيخ في الحديث عن أستاذه إنما هو صورة حية عن إعجابه البالغ بشخصيته ، وشهادة كبيرة على التأثر بموحياتها ، وهو لا يكتفي بالإشارة إلى هذه الشخصية في عبارة جامعة ، بل يمضي في استقصاء خصائصها القيادية من خلال حضورها في ذهنه ، كما لو لا يزال يشاهدها ويتتبع ملامحها . لقد تأثر به كاتباً ومحدثاً وعالماً وواعظاً وبليغاً . وانتهى من ذلك إلى تحليل بعض توجيهاته الحكيمة فربط بينها وبين تجاربه الذاتية أحكم ربط.[1]

ويتابع الشيخ حديثه عن الرجال الذين أثَّروا في توجيهه فيذكر منهم الأستاذ البهي الخولي والشيخ محمد الغزالي ، على اعتبار أنهما من الممثلين لمدرسة الإخوان ، ويقرر جازماً أن تأثره

١) ينظر علماء ومفكرون عرفتهم : ٤٦٦

بهذه المدرسة كان أقوى من تأثره بالدراسة الرسمية في الأزهر ومشايخه ، على الرغم مما له ولهم من فضل لا ينكر في تكوينه العلمي ، ثم يخص بالذكر من الشخصيات الأزهرية المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز، واصفاً إياه بأنه كان نسيج وحده في غزارة علمه وأصالة تفكيره ، وفصاحة بيانه، وقوة دينه وخلقه . والذين يعرفون المرحوم الشيخ دراز من خلال كتاباته ، وخاصة " فلسفة الأخلاق في الإسلام " يشاركون الدكتور القرضاوي في إثبات هذه الصفات كلها له ، ولاسيما أصالة التفكير التي مكنته من أن يتقصى مواطن الضعف في كل فلسفة أخلاقية دعا إليها البشر ، مبرزاً تفوق الأخلاقية الإسلامية عليها جميعاً ، بالتزامها سبيل الفطرة والسداد الذي لا يعتريه الخطأ . ويعدد من أساتيذه الأزهريين الشيخ الأكبر محمود شلتوت الذي . يقول . كان له به صلة خاصة قبل أن يتولى مشيخة الأزهر وأثناءها ، وكذلك أستاذه الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الحالي، فقد درسه الفلسفة الإسلامية في كلية أصول الدين ، واستمرت صلاته به ولقاءاته إياه فيما بعد ".

ويستدرك الشيخ ليصرفنا عن الظن بتقليده من يعجب بهم فيقول :

من فضل الله عليّ أن إعجابي بشخص ما لم يجعلني أحاول تقليده ، أو تقمص شخصيته فأنا . ولله الحمد . لست نسخة من أحد سبقني ، بل قد تكون لي مآخذ فكرية أو سلوكية على بعض الشخصيات التي أحببتها أو أعجبت بها ، ولم يحل هذا بيني وبين الانتفاع بها ".

والشواهد التي تؤكد براءة صديقنا الفاضل من تقليد الأفاضل بارزة ملموسة في معظم كتاباته وبخاصة مؤلفاته الأخيرة ، التي يبدو فيها منقباً مجتهداً مبدعاً ولو خالف المشهور من آراء الرجال .

ويعرج في هذه الإجابة على بعض الشخصيات التي لم يقابلها ، وكان لها عميق الأثر في وجوده ، فمنهم السيد محمد رشيد رضا الذي أعجبه فيه سعة الأفق في فهم الإسلام وفهم العصر الذي نعيش فيه، وتجرده من العصبية والتقليد ، وحرصه على الرجوع إلى الكتاب والسنة والاهتداء بمنهج السلف.

ثم يقول : " كنت مطلع حياتي من المعجبين بالإمام أبي حامد الغزالي ، إذ كان " إحياؤه " من أوائل الكتب التي قرأتها في صغري ، ثم قدر لي فيما بعد أن أطلع على بعض تراث شيخ الإسلام ابن تيمية فتحول إعجابي إليه ، وملك عليّ عقلي ونفسي ، وأصبح هو الشخصية

الفكرية الأولى بنظري ، وكلما ازددت قراءة له وتعمقاً في كتاباته ازددت له إعجاباً وحباً ، ويأتي بعده تلميذه المحقق الإمام ابن القيم رحمهما الله ورضي عنهما ، ولكن لا يمنعني إعجابي الشديد بهما أن أخالفهما في بعض المسائل كما خالفا هما من قبلهما " .

وهنا لا يحسن بنا أن نغفل تلك المؤثرات الروحية والتربوية التي أفادها من نشأته الأولى في تلك القرية المتنافسة في تحفيظ القرآن ، ومن ذلك البيت الذي أظله بالرعاية التي لا يعرف الناس لها مثيلاً إلا في ظل الخلق الإسلامي الأصيل .

ولعمر الحق إن توافر هذه العناصر من حقها أن تأخذ بيد الإنسان إلى الجادة الراشدة ، ولا سيما إذا توافرت لهذا الإنسان الفطرة السليمة والموهبة المتأهبة للتفاعل مع عوامل الخير.[١]

المطلب الثالث

مؤلفاته وبحوثه ومناصبه

ومن المعلوم أنَّ الدين الإسلامي به ثوابت لا تتغيَّر من عصر إلى عصر، وبه من المُتغيراتالتي تختلف من عصر إلى آخر، ومن ثمَّ ففكْرة التجديد غير مرفوضة من الناحية الإسلامية،فالقرآن المكي الذي نزل قبل الهجرة أصّل لموضوعات العقيدة ومكارم الأخلاق ، في الوقتالذي اهتم فيه القرآن المدني بالتشريع وتنظيم المجتمع . فهذا الفهم نجده في فكر الشيخ القرضاوي ، فهو يجمع بين السلفية والتجديد ، أي بين الأصالة والحداثة ، فيوازن بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر ، مبتعدا عن التعصب الأعمى ، أو الهوى المتبع .

مؤلفاته : ألف القرضاوي الكثير من الكتب في مجالات عدة أهمها:

- الفقه
- في علوم القرآن والسنة
- العقيدة
- التصوف

(١) ينظر علماء ومفكرون عرفتهم : ٤٦٦ _ ٤٦٨ .

- الدعوة والتربية
- توجيه التيار الإسلامي
- تراجم الشخصيات الإسلامية
- الأدب (شعر ومسرح)

وقد بلغت مؤلفاته المائة والسبعون كما ذكر هو ذلك .[1]

مناصبه

_ رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

_ .رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء و البحوث

_ .عضو مجمع البحوث الإسلامية في مصر

_ .يدير موقع الشبكة الإسلامية "إسلام أونلاين على الانترنت

_.عضو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

_رئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي ومصرف فيصل الإسلامي بالبحرين

_ .عضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا

_ .نائب رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في الكويت

.عضو مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد .

(١) ذكر لنا ذلك عند لقائنا به في الدوحة في شهر شباط من عام ٢٠١١ م

المبحث الثاني :

الشيخ يوسف القرضاوي و مقاصد الشريعة

تمهيد

لمقاصد الشريعة منزلة كبرى في تفكير الشيخ يوسف القرضاوي، فهو من أبرز علماء الإسلام المعاصرين اهتمامًا بالمقاصد، سواء على مستوى التنظير والتفكير أو مستوى التنزيل والتطبيق، ويكاد يهيمن الفكر المقاصدي على كل ما يكتب، فترى هذا الاهتمام في فتاواه وفي كتبه، ولاسيما الفقهية منها، بل حتى الكتابات الدعوية ترى الجانب المقاصدي فيه واضحا من خلال التركيز على فقه الأولويات وفقه الموازنات وفقه المآلات التي تعد بابا مهما يفهم من خلالها أبواب مقاصد التشريع ، وكذلك تلحظه في تعليله للأحكام، كما يعتبر المقاصد باباأساسيًّا في الترجيح والوصول إلى الأحكام الشرعية، وشرطًا أساسيًّا لا بد من توافره كي يبلغ الفقيه درجة الاجتهاد.

فإذادعاالقرضاويإلىالتيسيرفيالفتوىأوالتبشيرفيالدعوةفلأنّالتيسيرورفعالحرجمنمقاصدالشريعة،وإذادعاإلىالوصلبينالفقهوالحديثوربطالكلياتبالجزئياتفمرجعهلنفسالسبب،وإذادعاإلىالتأملفيفقهالسننفلأنهمنثمراتالعلمبالمقاصد،وإذادعاإلىرعايةالمآلاتوالأولوياتوالموازنات،ومراعاةالترتيبالسلميالمقاصديمنضروورياتوحاجيات

وتحسينيات،أومراعاةفقهالنِّسبأومراتبالأعمالفلأنذلككلهمرجعهلمقاصدالشريعةالعليا،وإذاقالبوجوبالأخذبأدبالاختلافوفقههلتوحيدالأمةفلأنالوحدةوالقوةمقصدإسلاميعام،ومايؤكدعلىذلكقوله:

"وفيرأييأنفقهالمقاصدهوأبوكلهذهالألوانمنالفقه؛لأنالمعنيّبفقهالمقاصدهو :

الغوصعلىالمعانيوالأسراروالحكمالتييتضمنهاالنص،وليسالجمودعندظاهرهولفظه،وإغفالماوراءذلك".

شمولالرؤية

وإذاكانعلماءالمقاصدالقدماءقداهتموابجزئياتالمقاصدمنضروورياتوحاجياتوتحسينيات،وتقسيمالضروورياتإلىالكلياتالخمسةالمعروفة:

الدينوالنفسوالعقلوالنسلوالمال،والتنظيرلهاوالاستدلالعليها،فإنشيخناقداهتمبالمقاصدالكبرىوالعامةأومايسميهالدكتورجمالالعطيةبالمفاهيمالتأسيسية –كمانجدهعندابنعاشور– منمثلتحقيقالعدلوالمساواة،وتحقيقالكفايةوالأمنالعام،والقيمالاجتماعي .

وقد أكد القرضاوي هذا المنهج من خلال تأليفه لمجموعة من الكتب تحمل الأسماء الآتية:

أ. أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، تحدث فيه عن فقه الموازنات.

ب. في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء الكتاب والسنة.

ج. دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية .وقد كتب عنه العديد من العلماء وبينوا علاقته بعلم المقاصد واهتمامه بهذا العلم من خلال كتبه ومحاضراته وشدة تركيزه عليه .[١]

يقول الدكتور **احمد الريسوني** وهو يتحدث عن الشيخ القرضاوي وعلاقته بعلم المقاصد: هو أحد فقهاء الإسلام المبرزين في مجال مقاصد الشريعة ، تنظيرا وتحقيقا ، وتنزيلا وتطبيقا ، وحين أصفه بأنه (فقيه المقاصد) فأني استحضر كل المعاني الجليلة التي ذكرتها لمقاصد الشريعة وللعلم بمقاصد الشريعة دون أن أحس بأدنى مبالغة أو تزيد فيما أقول .... وهو فقيه المقاصد باعتبار أن اجتهاداته وفتاويه الفقهية وعامة إنتاجاته الفقهية ، مؤسسة ومبنية على النظر المقاصديابتداءوانتماءا ، حالا ومآلا .وهو فقيه المقاصد باعتباره من أكثر الفقهاء تعليلا وتقصيداً للأحكام الشرعية في جميع المجالات ، وله في ذلك منهج ثابت لا يفتأ يقوله ويكرره ويدعو إليه .

ويقول أيضا : فإذا كان القرضاوي من فقهاء اليسر والتيسير ، فلأن التيسير ورفع الحرج مقصد كبير من مقاصد الشريعة ، وإذا كان من دعاة ربط الجزئيات بالكليات ، فان جماع الكليات مرجعه إلى المقاصد العامة للشريعة ، وإذا كان القرضاوي حريصا على اعتبار المآلات وإتباع فقه الموازنات ، فإن ذلك كله إنما هو تعبير عن النظر المقاصدي وإعمال للسلم المقاصدي بما فيه ضروريات وحاجيات وتحسينيات ومكملات ، وبما فيه من دين ، ونفس ، ونسل، وعقل ، ومال .[٢]

---

١) ينظر قراءة في فقه مقاصد الشريعة عند القرضاوي مقال للدكتور وصفي عاشور منشور على الموقع الرسمي للشيخ يوسف القرضاوي :http://www.qaradawi.net/articles/86-2009-12-12-10-35-10/4214.html .

(٢) ينظر يوسف القرضاوي ، كلمات في تكريمه لمجموعة من العلماء . جمع وترتيب عبد العظيم الديب ، دار الكتب القطرية ٢٠٠٣ م : ١١٥

ويقول عنه الشيخ **مصطفى الزرقا** رحمه الله : (وقد تميز الأستاذ القرضاوي _ بارك الله فيه _ بإدراكه العميق لفقه الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي أو كما قال هو في بعض كتبه القيمة (فقه الأولويات) الذي به يستطيع العالم القائم بمهمة التوجيه والإفتاء أن يميز بين أصول الإسلام وفروعه ، وبين الكلي والجزئي ، والأهم والمهم .) [١]

ويذكر عنه الشيخ **عليالقره داغي**[٢] اهتمامه بعلم المقاصد فيقول :(إن الشيخ القرضاوي من فقهاء المقاصد منذ بداية انشغاله بالفقه ، ثم ترعرع هذا المنهج معه حتى نستطيع القول بأن جميع كتبه الفقهية وحتى الدعوية سارت على نفس الخط).[٣]

ويقوم منهج الشيخ القرضاوي في الكثير من المجالات بالربط بين العلوم الشرعية ومفهوم الوسطية الذي طالما دعى إليه وألف فيه بل يعتبر الشيخ القرضاوي من ابرز دعاة الوسطية في العصر الحديث ، فهو يربط هذا المنهج الوسطي بالمقاصد الشرعية معتبرا أن المقاصد هي أولى من غيرها بإبراز الحالة الوسطية فيها ، وقد ربط الشيخ القرضاوي مفهوم الوسطية في الإسلام فكريا ومنهجيا بالمقاصد التي تعتبر في الواقع أحد النواظم الكلية لتعاليم الشريعة الإسلامية بوصفها انعكاسا للمفاهيم الأساسية والقيم الخالدة التي جاء بها الإسلام لتحقيق صلاح الإنسان والكون وفق ميزان عدل لا يحيد ولا يميد .[٤]

ويقول عنه الأستاذ **عصام العطار**[٥] وهو يتحدث عن شخصيته وعلمه :(فقيها كبيرا مبدعا ، يرى الكليات مع الجزئيات ، والمقاصد مع الجزئيات ، ويفرق بين الثابت والمتغير في الأحكام والحياة والمجتمعات ، ويتقن فقه الموازنات وفقه الأولويات ...)[٦]

---

(١) يوسف القرضاوي ، كلمات في تكريمه : ٤٣

(٢) هو الأستاذ الدكتور على محي الدين القرة داغي أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر سابقاً و نائب رئيس مجلس الإدارة ولد عام ١٩٤٩ م في محافظة السليمانية في العراق .

(٣) يوسف القرضاوي ، كلمات في تكريمه : ٦٠٩ .

(٤) ينظر كتاب بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئيةدار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ : ٦٩ .

(٥) عصام العطار سياسي وداعية إسلامي سوري والمراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا , ولد عام ١٩٢٧ م .

(٦) يوسف القرضاوي ، كلمات في تكريمه : ٧٢ .

وكتب عنه الشيخ **عبد الفتاح أبو غدة**[١]رحمه الله مبينا إدراكه للمقاصد فقال : (....ويرد على التائهين عن الحق والزائغين ، بما آتاه الله من علم وحكمة ، وفقه وبصر بالشريعة ومقاصدها ، ومصادرها ومواردها لتقوم به الحجة على الناس ، ويزيل عنهم الشبهات والضلالات والالتباس) [٢]

ويذهب الدكتور **وصفي عاشور**[٣] أبعد ممن سبقه في بيان العلاقة بين الشيخ القرضاوي وعلم المقاصد حيث يقول (..وأنه من أبرز علماء المقاصد الذين راعو المقاصد في سائر ما ارتادوه من مجالات تتعلق بقضايا الأمة المسلمة والعالم عقيدة وعبادة ، قرآنا وسنة ، أصولا وفقها ، سياسة واقتصادا ، تصوفا وتسننا ....) [٤]ويقول (وكلام الشيخ عن تعليل الأحكام أشهر من أن يوثق لمن طالع تراثه ، فهو لا يفتأ يذكر كلما تعرض للمقاصد أن أحكام الشريعة _ في مجملها _ معللة ، وان لها مقاصد في كل ما شرعته ، وأن هذه المقاصد والعلل والحكم معقولة ومفهومة في الجملة ، بل مفهومة ومعقولة تفصيلا إلا في بعض الأحكام التعبدية المحضة ، والتي كان من الحكمة المعقولة أيضا ألا يعرف تفصيل ما وراءها من أسرار .)[٥] ويقول عن علاقة المقاصد بالفقه عند الشيخ القرضاوي باعتبارها حلبته الأساسية وساحته الأولى التي يغدو فيها ويروح : فالمقاصد روح تسري في روح القرضاوي ، وذلك باعتباره خبير المصالح وفقيه النصوص والمقاصد .[٦]

---

(١) هو أبو الفتوح وأبو زاهد عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبوغدة الخالدي المخزومي الحلبي توفي في الرياض سنة ١٩٩٧م .عن عمر ناهز الثمانين .

(٢) يوسف القرضاوي ، كلمات في تكريمه : ٣٩ .

(٣) هو الدكتور وصفي عاشور ابو زيد باحث مصري في مركز الوسطية في دولة الكويت .

(٤) رعاية المقاصد في منهج القرضاوي رؤية استقرائية تحليلية تطبيقية .الدكتور وصفي عاشور : ٨ .

(٥) المصدرنفسه : ١٥ .

(٦) ينظر رعاية المقاصد في منهج القرضاوي: ٧٥ .

المطلب الأول

عناية الشيخ يوسف القرضاوي بعلم المقاصد ورعايته لها .

بعد أن استعرضت علاقة الشيخ القرضاوي بعلم المقاصد وشهادات العلماء المعاصرين بهذه العلاقة من خلال هذه المقدمة سأشرع ببيان عناية الشيخ لهذا العلم ورعايته له من خلال ما ذهب إليه في كتبه وبيان أهميته عنده ودعوته للاهتمام بهذا العلم ، ومدى حاجة المجتمع الإسلامي للاجتهاد المقاصدي .

يقول الدكتور القرضاوي عن ضرورة تعلم المقاصد وتعليمها : (لا بد أن يكون لنا دور ما في تجلية هذه المقاصد وتعميقها وتوسيع آفاقها لتشمل المقاصد الفردية والمقاصد الجماعية وما يتعلق بالمقاصد في باب الأسرة وباب المجتمع والأمة الإنسانية وان نعلم هذا طلبة العلم) [١]. والشيخ بهذا يوسع مجال المقاصد ليشمل الفرد والمجتمع والأسرة وكذلك الأمة الإسلامية .

ويقول عن علاقته بعلم المقاصد :(آمنت من زمن بعيد بمقاصد الشريعة، وضرورة معرفتها، وأهميتها في تكوين عقلية الفقيه الذي يريد أن يغوص في بحار الشريعة، ويلتقط لآلئها، وفي مساعدته على الوصول إلى الحكم الصحيح، ولا يكتفي بالوقوف عند ظواهر النصوص الجزئية، فيشرد عن سواء السبيل، ويسيء الفهم عن الله ورسوله .

وكان سبب إيماني بهذه المقاصد: إيماني بحكمة الله تعالى، وأن من أسمائه الحسنى: الحكيم، وقد ذكر اسم الحكيم في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة ، وهو سبحانه حكيم فيما خلق، فلا يخلق شيئا عبثا ولا باطلا، كما أنه حكيم فيما شرع، فلا يشرع شيئا عبثا ولا اعتباطا.[٢]

ثم يبين الأمور التي دفعته للاهتمام بهذا العلم والقرب منه ويجملها بعدة نقاط فيقول : وقد أكد إيماني هذا ونمّاه ومكَّنه وعمقه في نفسي وعقلي، جملة أمور : **أولا** : التدبر في القرآن الكريم، وما فيه من تعليلات شتى في عالم الخلق، وعالم الأمر، وترتيب

---

(١) كلمة الشيخ في افتتاح الدورة التأسيسية لمركز مقاصد الشريعة الإسلامية في لندن عام ٢٠٠٥ م، وينظر مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي للدكتور جاسر عودة : ٤٢ .

(٢) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية . الدكتور يوسف القرضاوي :١١ .

المسببات على أسبابها، والمعلولات على عللها، والنتائج على مقدماتها، حتى قال الإمام ابن القيم: وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع !

ثانيا :استقراء أحكام الشريعة وما تحويه من مثل عليا، وقيم رفيعة، وغايات حميدة، ومصالح أصيلة، تشتمل على خيري الدنيا والآخرة، للفرد وللأسرة وللجماعة وللأمة وللإنسانية كلها.

ثالثا :قراءة مؤلفات العلماء الذين يعنون بمقاصد الشريعة، أكثر من عنايتهم بألفاظها وأشكالها، مثل الإمام أبي العباس ابن تيمية (٧٢٨هـ) وتلميذه الإمام ابن القيم (٧٥١هـ)في المشرق، ومثل الإمام أبي اسحق الشاطبي (٧٩٠هـ) في المغرب، والإمام ولي الله الدهلوي في الهند (١٠٧٦) [١] ، والإمام محمد بن إبراهيم الوزير(ت ٨٤٠)[٢] في اليمن. وفي عصرنا الحديث مثل: العلامة محمد رشيد رضا[٣]ت ١٣٥٤هـ .

رابعا :معايشة علماء يؤمنون بالفكرة المقاصدية، ويرفضون الحرفية في فهم النصوص، مثل مشايخنا الكبار الذين عاصرناهم: محمود شلتوت ، ومحمد عبد الله دراز، ومحمد يوسف موسى، ومحمد المدني، ومحمد أبو زهرة، وعبد الوهاب خلاف، وعلي الخفيف، ومحمد مصطفى شلبي، وعلي حسب الله، ومصطفى زيد، ومصطفى الزرقا، ومصطفى السباعي، والبهي الخولي، ومحمد الغزالي،وسيد سابق، وغيرهم، رحمهم الله. [٤]

---

١)هو المفسر العالم بالحديث أحمدبنعبدالرحيمبنالشهيدوجيهالدينبنمعظمبنمنصورالمعروفب «الشاهولياللهالدهلوي» هومسندالهند له العشرات من المؤلفات بمختلف العلوم ، توفي سنة : ١١٧٦ هـ . ينظر الأعلام للزركلي : ٤ /١٤.

٢) هو الإمام العلامة الجهبذ النظار المحدث الكبير أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي المرتضي بن الفضل الحسني القاسمي المعروف ب ابن الوزير اليمني الصنعاني ولد بهجرة الظهراوي من شظب وهو جبل عال باليمن توفي سنة ٨٤٠ هـ : ٢ /١١٢٤ . ينظر :فهرسالفهارسوالاثباتومعجمالمعاجموالمشيخاتوالمساسلات،اسمالمؤلف: عبدالحيينعبدالكبيرالكتانيتحقيق : د. إحسانعباس ،دارالنشر : دارالعربيبالإسلامي – بيروت/ لبنان – ١٤٠٢هـ١٩٨٢م،الطبعة : الثانية : ج٢/١ .

٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغداديمن رواد النهضة والصحوة الإسلامية المعاصرة ، بما له من إسهامات كبيرة في تقويمها ، وترشيد إطارها توفي سنة ١٩٣٥ .

٤) ينظربين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١٢ .

ويضيف الدكتور وصفي عاشور أمراً خامسا كان له دوره في تعميق الفكر المقاصدي لدى الشيخ ، وهو :التأمل في نصوص السنة النبوية مع التدبر في ملابساتها وظروفها ومقاصدها وأسباب ورودها ، كما يلاحظ هذا في كتابيه : كيف نتعامل مع السنة ، وكتاب المدخل لدراسة السنة النبوية .(١)

وقد ذكر الشيخ في كتابه كيف نتعامل مع السنة : إن التمسك بحرفية السنة أحيانا لا يكون تنفيذا لروح السنة ومقصودها ، بل يكون مضادا لها، وإن كان ظاهره التمسك بها(٢). ويشير الشيخ القرضاوي إلى كلمة ابن القيم في الكثير من كتاباته ويبين أهميتها فيقول : وكلما تعمقت في الدراسة أكثر ازدادت الفكرة لديّ وضوحا وعمقا، وترسخت في أعماقي كلمة ابن القيم: (الشريعة مبناها وأساسها على مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، رحمة كلها، حكمة كلها، ومصالح كلها)(٣).

ويقول : وبدأ الإيمان بفقه المقاصد، يفرض نفسه على تفكيري واجتهاداتي وترجيحاتي، فيما أؤلفه من كتب، وفيما أصدره من فتاوى، وفيما ألقيه من محاضرات، وفيما أقدمه من برامج ولقاءات في الفضائيات وغيرها.

وبدأ منهجي يتضح للناس شيئا فشيئا، ثم طفق يتصادم مع مناهج (الحَرْفيين) الذين لا يلتفتون إلى المعاني، أو(الشكليين) الذين لا يعنون بالجوهر، وينظرون إلى الصورة، ولا ينفذون إلى الحقيقة.

وقد سميت هؤلاء في بعض ما كتبت: (الظاهرية الجدد) فلهم من الظاهرية جمودهم ووقوفهم عند الظواهر، وإنكارهم للحكم والمقاصد، والقياس الصحيح، وإن لم يكن عندهم علم الظاهرية، ولا سيما في معرفة النصوص والأحاديث والآثار.

أما التغريبيون من العلمانيين الليبراليين والماركسيين والمتحللين، فقد بدأ الصدام معهم من قبل ؛ لأنهم يرفضون كل ما ينتمي إلى الإسلام، فقبلتهم غير قبلته، وأهدافهم غير أهدافه،ومفاهيمهم

(١) ينظر رعاية المقاصد في منهج القرضاوي الدكتور وصفي عاشور : ١٧ .

(٢) ينظر كيف نتعامل مع السنة للشيخ القرضاوي : ١٥٥

(٣) إعلام الموقعين :٣ / ٢ .

غير مفاهيمه، وأئمتهم غير أئمته.
ولا غرو أن وقف في وجهي المتشددون والمتنطعون ممن يتكلمون باسم الدين، والمتسيبون والمتحللون ممن يعارضون منطق الدين .[1]

والشيخ القرضاوي يتناول المقاصد من خلال الفهم الوسطي الذي يشتهر فيه ويدعو له فهو يرى أن
الحديثمابنيعلىرعايةظروفزمنيةخاصة،ليحققمصلحةمعتبرة،أويدرأمفسدةمعينة،أويعالجمشكلةقائمةفيذلك الوقت،أويكونمبنيا علىعرفقائمفيذلكالوقت،ولكنهلميعدقائماليوم.

ومعنىهذاأنالحكمالذييحملهالحديثقديبدوعاماودائما،ولكنهعندالتأملمبنيعلىعلة،يزولبزوالها،كمايبقىببقائ ها،أوعلىعرفينتفيبإنتفائه .

وهذايحتاجإلىفقهعميق، ونظر دقيق ، ودراسةمستوعبةللنصوص،وإدراكبصيرلمقاصدالشريعة،وحقيقةالدين،معشجاعةأدبية،وقوة نفسية للصدعبالحق وإن خالف ماألفهالناسوتوارثوه وهذاليسبالشيءالهين؛فقدكلفهذاشيخا لإسلامابنتيميةمعاداةالكثيرينمنعلماءزمنهالذينكادوالهحتىأدخلالس جنأكثرمنمرة،وماتفيهرضياللهعنه.[2]

ومن خصائص فقه الشيخ القرضاوي في ضوء النصوص في ضوء مقاصد الشريعة ، فإن آفة كثير من المشتغلين بالفقه _ في الآونة الأخيرة عدم إهتمام بدراسة مقاصد الشريعة ، على الرغم من أن الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى جعل من شروط الاجتهاد : التعمق في دراسة المقاصد الشرعية . وانطلاقا من أقوال الأصوليين ينطلق الشيخ القرضاوي فينبه ويدعو لدراسة المقاصد ، بل يعدُ أشهر فقيه معاصر يتحدث عن المقاصد ويدعو إليها ، ويكتب عنها بإسهاب في عدد من كتبه ، ويذكر كذلك الآفات المترتبة على عدم فهم مقاصد الشريعة .. ويتفرع عن خصيصة فهم النصوص الشرعية في ضوء مقاصدها خصيصة مهمة وهي : إسقاط الكليات على الجزئيات

(١) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١٣ .

٢) ينظر المصدر نفسه : ١٤٨ .

. وتلك مزية نلحظها بفتاوى الشيخ ، إذ يتناول القضايا الجزئية في ضوء كليات الشرع ، ولذا تعتبر هذه الخصيصة مقياسا لبيان الفقيه الثبت من غيره . [١]

وهذه المدرسة التي يتبناها الشيخ يذكر أهم سماتها ومرتكزاتها فيقول :

السمة الأولى : الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها لمصالح الخلق .

السمة الثانية : ربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض .

السمة الثالثة : النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا .

السمة الرابعة : وصل النصوص بواقع الحياة وواقع العصر .

السمة الخامسة : تبني خط التيسير والأخذ بالأيسر على الناس .

السمة السادسة : الانفتاح على العالم ، والحوار والتسامح .[٢]

فأول هذه السمات أنها تؤمن بحكمة الشريعة وسموها وتضمنها لكل ما يحتاج إليه الخلق ، وما ينفعهم ويرقى بهم ، لأنها منزلة من عليم حكيم ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))[٣] والشريعة جاءت لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم يقول تعالى : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) [٤].

ويقول جل وعلا : ((إن الله بالناس لرءوف رحيم)) [٥]

فالشريعة الإسلامية تتضمن كل ما فيه رحمة بالعباد وتيسير عليهم ، وكل ما جاءت به الشريعة فيه مقصدا تهدف إلى تحقيقه ألا وهو خير الخلق في دنياهم وأخراهم .

---

١) ينظر يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه عصام تليمة (خصائص المشروع الفقهي للشيخ يوسف القرضاوي) : ٥٦٠ .

٢بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١٤٥ .

٣) سورة الملك الآية : ١٤

٤) سورة الانبياء الآية : ١٠٧

٥) سورة البقرة من الآية : ١٤٣ .

ومن سمات شريعتنا أنها لا ينبغي أن ينظر إليها مجزأة دون الربط بين نصوصها وكل الأحكام والنصوص وإن بدا فيها من تقسيمات وأبواب فهذا لا يعني أنها مجزأة بل الترابط موجود بين جميع النصوص وهذا الترابط يصل إلى نتيجة مهمة وهي أن الشريعة كلُ لا يتجزأ وهي منظومة متكاملة ونظام حياة شامل لا ينبغي أن يهتم بجانب على حساب الجوانب الأخرى .

والنظرة المعتدلة هي التي لا يكون فيها لا إفراط ولا تفريط بين شؤون الدنيا وشؤون الدين فهي وسط في نظرتها إلى كل جوانب الدين والدنيا ، يقول تعالى : ((وكلك جعلناكم أمة وسطا))[1] فهي وسط في كل شيء ، (وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط ، سواء الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو الوسط بمعناه المادي والحسيّ. أمة وسطاً في التصور والاعتقاد ، أمة وسطاً في التفكير والشعور ، أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق ، أمة وسطاً في الأرتباطات والعلاقات ، أمة وسطاً في الزمان ، أمة وسطاً في المكان).([2])

ومما يميز شريعتنا الغرَاء أنها قريبة من المجتمع تعرف ظروفهم وحاجاتهم وملتصقة بهم ليست بعيدة ومنعزلة عن واقعهم وتعالج كل مشكلة تطرأ بواقع الحياة .

ومنهج التيسير والتخفيف من خصائص هذه الشريعة ومئات النصوص الشرعية التي توضح هذه الميزة فالتيسير منهج قرآني ونبوي ، وبتعمق معاني النصوص وسبر أغوارها يجد المسلم هذه الميزة ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخيَر بين أمرين إلا واختار أيسرهما .

والانفتاح على العالم وكون هذه الشريعة رحمة للعالمين فهي إذن عالمية وليست إقليمية أو مختصة بطائفة أو عِرق ، وهي تدعو إلى الحب والتسامح وتنبذ التعصب والعنف .

ومرتكزات هذه المدرسة التي يتبناها الشيخ القرضاوي

أولا : البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم .

---

١) سورة البقرة من الآية : ١٤٣ .

٢) في ظلال القرآن : ١ / ١٣١

وهنايتبينلناأنأولمرتكزاتالمدرسةالوسطية:

أنهاتجتهدفيالبحثعنمقصدالنصالشرعيوهدفه،قبلأنتسارعبإصدارالحكممنمجردلفظه،وذلكلايكونإلابطولالبحثوالتدبرللنصوصالواردة .[1]

ثانيا : فهم النص في ضور أسبابه وملابساته .

فمنمرتكزاتالمدرسةالوسطيةفيحسنفهمهاللشريعة:

قراءةالنصفيضوءسياقهوأسبابنزولهإنكانقرآنًا،أوأسبابورودهإنكانحديثًا،ومعرفةالظروفوالملابساتالتيسيقفيهاالحديث،حتىلايخطئالدارسفهمالمقصودمنه فيأخذ من النص حكما لا يقصد إليه ، وليس مرادا منه .

فالناظر المتعمق يجد أن من الحديث ما بني على رعاية ظروف زمنية خاصة ، ليحقق مصلحة معتبرة ، أو يدرأ مفسدة معينة ، أو يعالج مشكلة قائمة في ذلك الوقت ، ولكنه لم يعد قائما اليوم . فلابد من فهم النص فهما سليما دقيقا ، من خلال معرفة ملابساته التي سيق فيها الحديث ، وجاء بينا لها ، وعلاجا لظروفها حتى يتحدد المراد من النص بدقة ولا يتعرض لشطحات الظنون ، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود . [٢]

ثالثا : التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة .

فالمتأملفيأحكاماالشريعةوأوامرهاونواهيها:

يتبينلهأنمنهامايقررالمبدأالمطلوب،وهوالمقصودللشارع،ولايعينلهوسيلةلتحقيقه؛لأنوسائلهقابلةللتغيروالاختلاف؛باختلافالأزمنةوالأمكنةوالأعراف،والظروفالاجتماعيةوالاقتصاديةوالسياسية . [٣]

رابعا :الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات .

وهذامنمرتكزاتالمدرسةالوسطيةأنهاتلائمبينالثوابتالشرعيةومتغيراتالزمانوالمكان،فأماالثوابتفلايمكنالمساسبهابحال،وهيالدائرةالمغلقةالتيلايدخلهاالاجتهاد،ولاالتجديدولاالتطور،كالعقائدالأساسية،وأركانالإسلامالعملية،وأمهاتالفضائلالأخلاقية،وأمهاتالمحرماتالقطعية ... الخ.

---

١) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١٥٥

٢) ينظرالمصدر نفسه : ١٦١ _١٦٢ .

٣) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١٧٤ .

وما عدا ذلك من الأحكام الفرعية والجزئية فهو من المتغيرات، وهذه الدائرة دائرة رحبة، تدخل فيها معظم أحكام الشريعة، وهي قابلة للاجتهاد والتجديد والتطور .[1]

خامسا : التمييز في الالتفات الى المعاني بين العبادات والمعاملات .

ومن مرتكزات المدرسة الوسطية أنها تتبنى هذه القاعدة الهامة التي نبه عليها الإمام الشاطبي، وهي التفريق بين العبادات والعادات من ناحية الالتفات إلى المعاني والعلل والمقاصد من وراء التكليف لكل منهما، وتدليله على ذلك.

والإشارة إلى هذه القاعدة نجدها بوضوح في كتاب الموافقات للإمام الشاطبي وهي: أن الأصل في العبادات بالنسبة إلى المكلف، التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وأصل العادات (يعني: المعاملات): الالتفات إلى المعاني .[2]

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن المدرسة المقاصدية التي يتبعها الشيخ القرضاوي والتي تعترف بالمعنى ودلالات النصوص هي ليست متفقة تماما على نسق واحد فالظاهرية وهم من أشار إليهم الشيخ بجمودهم أمام النصوص نرى أن الشافعية يقفون قريبا منهم كما في رأيهم بالاستحسان ورؤيتهم للمصالح ، بينما نجد الحنفية والمالكية والحنابلة أقرب إلى نظرية المقاصد ، لقولهم بالاستدلال من خلال الاستحسان والمصالح على تفاوت بينهم بالأخذ بهذا المصدر أو ذاك ، كما في مبالغة الحنفية بالأخذ بالاستحسان مقابل الاستصلاح ، ونرى الحنابلة يكثرون بالأخذ بسد الذرائع ومعهم المالكية .

المطلب الثاني

المقاصد العامة عند الشيخ القرضاوي

الشيخ القرضاوي يعُد مقاصد الشريعة من الدعائم الأساسية التي لا يستغني عنها الفقيه ، عادًا إيَاها من علامات الفقه الحضاري الذي يميز الشريعة الإسلامية ويضعها بمقدمة الشرائع بل الحاكمة عليها .

---

١) المصدر نفسه : ١٩٧ .

٢) المصدر نفسه : ١٩٩ .

يقول الشيخ عن فقه المقاصد :(ومن ركائز الفقه الحضاري فقه مقاصد الشريعة . فإذا كان الفقه التقليدي يعنى بجزئيات الأحكام الفرعية وشكلياتها ، فإن الفقه الحضاري يعنى بمقاصدها وكلياتها وأسرارها . ونعني بها الحكم والأهداف الكلية ، التي من أجلها شرع الله الأحكام ، وفرض الفرائض ، وأحل الحلال ، وحرم الحرام ، وحد الحدود) .([1])

أولا : مفهوم مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي

يتناول الشيخ القرضاوي مفهوم مقاصد الشريعة بشيء من التفصيل ، فعند حديثه عن مقاصد الشريعة يبتدأ كعادته ببيان المراد بكل لفظ مما يريد الشروع بدراسته لتكون لديه القاعدة الواضحة التي يلج من خلالها لإيصال المعنى المراد على بينة ، فيبتدأ بمعنى الشريعة فيقول :

مفهوم الشريعة : الشريعة كما في القاموس وشرحه: ما شرعه الله تعالى لعباده منالدين، أو ما سَنّه من الدين وأمر به من العبادات: كالصوم والصلاة والحج والزكاةوسائر أعمال البر، ومن المعاملات التي لا تتم حياة الناس إلا بها: كالبيوع والأنكحةوغيرها . يقول تعالى((ثُمَّجَعَلْنَاكَعَلَىشَرِيعَةٍمِنَالْأَمْرِفَاتَّبِعْهَاوَلَاتَتَّبِعْأَهْوَاءَالَّذِينَلَايَعْلَمُونَ))[2] واشتقاقها من " شرع الشيء " بمعنى بيّنه وأوضحه، أو هو من الشِّرْعةوالشريعة، يعني الموضع الذي يوصل منه إلى ماء معين لا انقطاع له، ولا يحتاج واردهإلى آلة . ثميبين الشيخ معنى لفظ شرع في القرآن فيقول :

ومادة " ش ر ع" فعلاواسما قد وردت في القرآن الكريم بمعان عدة : **اولا** : وردت في صورة فعل ماض في قولهتعالى ((شَرَعَلَكُمْمِنَالدِّينِمَاوَصَّىبِهِنُوحًاوَالَّذِيأَوْحَيْنَاإِلَيْكَوَمَاوَصَّيْنَابِهِإِبْرَاهِيمَوَمُوسَىوَعِيسَىأَنْأَقِيمُواالدِّينَوَلَاتَتَفَرَّقُوافِيهِ))[3]) وما شرعه اللههنا يتعلق بالأصول لا بالفروع، وبالعقائد لا بالأعمال، ولذا اتفقت عليها كلالرسالات الإلهية: من عهد نوح، إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام.

---

١) السنة مصدرا للمعرفة والحضارة للدكتور يوسف القرضاوي ، دار الشروق الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٣ م. : ٢٣٠ .

(٢) سورة الجاثية الآية : ١٨

(٣) سورةالشورى الآية : ١٣

ثانيا : وفيالسورة نفسها ذكر القرآن مادة " شرع " في ذم المشركين، حيث أعطَوْا لأنفسهم حقالتشريع في الدين، ولم يأذن الله لهم به؛ قال تعالى ((أَمْلَهُمْشُرَكَاءُشَرَعُوالَهُمْمِنَالدِّينِمَالَمْيَأْذَنْبِهِاللَّهُ))[1] ؛ فحللوا وحرموا، وأوجبوا وأسقطوا، دون إذن منالله .

ثالثا :وفي القرآن المدني جاء قوله تعالى ((لِكُلٍّجَعَلْنَامِنْكُمْشِرْعَةًوَمِنْهَاجًا))[2]

رابعا : وجاءت بمعنى الطريقة كما في قوله تعالى ((ثُمَّجَعَلْنَاكَعَلَىشَرِيعَةٍمِنَالْأَمْرِفَاتَّبِعْهَاوَلَاتَتَّبِعْأَهْوَاءَالَّذِينَلَايَعْلَمُونَ)) [3]

ومن المؤكد والمقطوع به والمعلومبالضرورة أن القرآن يشتمل على أحكام تشريعية في عدة مجالات:

منها ما يتعلق بأمورالعبادات.

ومنها ما يتعلق بشؤون الأسرة.

ومنها ما يتعلق بالمعاملات المدنيةوالتجارية.

ومنها ما يتعلق بالجرائم والعقوبات من الحدود والقصاص.

ومنها مايتعلق بالأمور السياسية والعلاقات الدولية في السلم والحرب.[4]

معنى مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي :

لم يذهب الشيخ القرضاوي بعيدا عمن سبقه في بيانه مفهوم المقاصد الشريعة إذ يقول :(وأما معنى (مقاصدالشريعة) فيراد بها : الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهيوالإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفرادا وأسراوجماعات وأمة ، ويمكن أن نطلق على هذه [المقاصد]اسم الحِكَم: التي تطلب من وراءتشريع الأحكام، سواء

(١) سورةالشورى الآية : ٢١

(٢) سورة المائدة الآية : ٤٨

(٣) سورة الجاثية الآية : ١٨

٤) ينظربين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١٨

كانت مقتضية أم مخيِّرة؛ إذ وراء كل حكم شرعه الله لعباده حكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، لأن الله تعالى يتنزّه أن يشرع شيئا اعتباطا أو عبثا، أو يشرعه مضادا للحكمة .

وتعريف الشيخ لمعنى المقاصد يربطه أيضا بالمصلحة حيث يقول (ومما لا ريب فيه لأي دارس أن الشريعة الإسلامية أقامت أحكامها على رعاية مصالح المكلفين ، ودرء المفاسد عنهم وتحقيق أقصى الخير لهم ... وقد اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته وجود هو إحسانه أن يتعبد خلقه بما فيه صلاحهم وفلاحهم في العاجلة والآجلة، ولـ هذا نقرأ في كتاب الله آية الوضوء:) ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون))[1] وفي الصلاة نقرأ: ((إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))[2] . وفي الزكاة نقرأ: ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها))[3] . وفي الصوم: ((لعلكم تتقون))[4] وفي الحج: ((ليشهدوا منافع لهم)) [5] .

فإذا كانت مصالح المكلفين مرعية فيذا تالعبادات التي اعتبر التعبد هو المقصود الأول منها ، فكيف بأمور المعاملات الدنيوية التي تنتظم بها معايش هم وعلاقاتهم أفرادا وأسرا ومجتمعات وأمما؟

ولهذا أكد المحققون من علماء الأمة:

أن الشريعة إنما وضعت لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد ، أو في العاجل والآجل...

وبهذا يتبين لنا شمول المصلحة التي قصدت الشريعة إلى إقامتها وحفظها .

فهي ليست المصلحة الدنيوية فحسب ، كما يدعو خصوم الدين ، ولا المصلحة المادية فقط ، كما يريد أعداء الروحية ، ولا المصلحة الفردية وحدها ، كما ينادي عشاق الوجودية وأنصار الرأسمالية ولا مصلحة الجماعة كما يدعو إلى ذلك أتباع الماركسية والمذاهب الجماعية ، ولا المصلحة الآتية للجيل الحاضر وحده ، كما تتصور بعض النظرات السطحية.

إنما المصلحة التي قامت عليها الشريعة في كلياتها وجزئياتها ، وراعتها في عامة أحكامها ، هي المصلحة التي تسع الدنيا والآخرة ، وتشمل المادة والروح ، وتوازن بين الفرد والمجتمع وبين الطبقة والأمة ، وبين المصلحة القومية الخاصة والمصلحة الإنسانية العامة ، والموازنة بالقسط بين هذه المصالح المتقابلة المتضاربة في كثير منا لأحيان لا ينهض بها علم

---

١) سورة المائدة الآية : ٦

٢ سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

٣) سورة التوبة ١٠٣ .

٤) سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

٥) سورة الحج الآية ٢٨ .

بشر ،وحكمةبشر ،وقدرةبشر .

وإذاكانتالشريعةتقصدإلىرعايةالمصالح،فهيبالتاليتقصدإلىإزالةالمفاسدومنعها ،حتىإنبعضالذينا عتبروا المصلحةدليلاشرعيامستقلا[1]

ثم يوضح الشيخ الفرق بين المقصد والعلة بقوله :(وليس المراد بالمقاصد العلل التي ذكرهاالأصوليون في مبحث القياس، وعرفوها بأنها الوصف الظاهر المنضبط المناسبللحكم.

فهذه العلة سبب للحكم، وليست مقصدا له، كما قالوا عن علة الرخص في السفر ،من القصر والجمع في الصلاة، والفطر في صيام رمضان. فالعلة في هذه الرخص هو: السفر ،وليست المشقة غير المعتادة التي يتعرض لها المسافر في سفره، فهذه هي الحكمة من وراءهذه الرخص، وليست العلة .وإنما لم يربطوا الحكم بالحكمة؛ لأنها يصعب أن تنضبط؛فترتيب الحكم عليها يوقع في بلبلة وحيرة وارتباك. فإذا قلت: إن المسافر يرخص له فيالسفر بالقصر والجمع في صلاته، والفطر في صيامه، إذا شعر بالمشقة وجدت الناس في ذلكجد متفاوتين؛ فمنهم من تبلغ به المشقة مبلغا كبيرا، وهو – لفرط حساسيته وورعهيقول: لم يشق عليّ الأمر بعد !

ومنهم من يقول: أصابتني المشقة بأدنىشيء.

والعجيب أنا وجدنا الفقهاء لا يعتدون بالحكمة كما في فطر الصائم في السفر ،إنما يعتدون بالعلة، وهي السفر ذاته. على حين نجدهم في فطر المريض في الصوم يعتمدونالحكمة لا العلة، فلا يقولون: يفطر المريض بأي مرض، كما يفطر المسافر بأي سفر. بللا يعتدون في المرض إلا بالمرض الموجع، الذي يزداد بالصيام، أويتأخر البرءبسببه).[2]

ويمكن أن نتحرى الحكمة من وراء رأي الجمهور ونزيل الاستغراب الذي يراه الشيخ القرضاوي فنقول إن الفقهاء ميزوا بين الأمرين وذلك لأن المرض يتفاوت في أثره عند الناس حسب قابليتهم ومناعتهم له ، وهذا لا يمكن أن ينضبط بحال ، أما موضوع السفر فيمكن ضبط أمره من خلال المسافة التي يسمح من خلالها الإفطار أو قصر الصلاة على اختلاف الفقهاء في تحديدها ،

---

١) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية الدكتور القرضاوي : ٥٧ _٥٨ .

٢) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ٢١.

فيكون السفر هو السبب المنضبط للإفطار بخلاف المرض مما دعاهم إلى تحري ما يحتاط به وهو المرض الموجع .

ثانيا : تقسيمات المقاصد عند الشيخ القرضاوي

لم يختلف الشيخ القرضاوي عمن سبقه بتوصلهم إلى تقسيمات المقاصد إلى ضروريات وحاجيات وتحسينيات ، ويرى أهمية هذا التقسيم والاحتفاظ به ، وعلى الترتيب المذكور. وقال (فهذا تقسيم منطقي لا يستغني عنه مجتهد في الحكم على وقائع الحياة،والموازنة بين الأشياء عندما تتعارض. فالضروريات مقدمة على الحاجيات والتحسينات،والحاجيات مقدمة على التحسينات. ولكل مرتبة حكمها)[١]

ولكن للمقاصد عند الشيخ القرضاوي تقسيمات من حيث قوتها ، ومن حيث عمومها .

فمن حيث قوتها فهو يتبنى تقسيمات الإمام الغزالي كما يقول الدكتور جاسر عودة [٢] حيث يقول عنه ناقلا كلام الغزالي :(المصلحة باعتبار قوتها في ذاتها تنقسم إلى ما هي في رتبة الضرورات وإلى ما هي في رتبة الحاجات وإلى ما يتعلق بالتحسينات والتزيينات وتتقاعد أيضا عن رتبة الحاجات ويتعلق بأذيال كل قسم من الأقسام ما يجري منها مجرى التكملة والتتمة لها ولنفهم أولا معنى المصلحة ثم أمثلة مراتبها أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة ولسنا نعني به ذلك فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة وإذا أطلقنا المعنى المخيل والمناسب في كتاب القياس أردنا به هذا الجنس وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات فهي أقوى المراتب في المصالح)[٣]

---

١) ينظر بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ٢٩

٢) ينظر مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي الدكتور جاسر عودة :٤٤

٣) ينظر السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها : ٨٦ _ ٨٧ وينظر المستصفي :١ / ١٧

هذا التقسيم من حيث قوتها ، أما من حيث عمومها فيقسمها إلى مقاصد عامة ومقاصد جزئية حيث يقول :(وهناك مقاصد جزئية لبعض الإحكام ، ومقاصد كلية عامة ، فالعدل مقصد عام ، بل هو كما نص القرآن مقصد الرسالات السماوية جميعا ، قال تعالى : ((لَقَدْأَرْسَلْنَارُسُلَنَابِالْبَيِّنَاتِوَأَنْزَلْنَامَعَهُمُالْكِتَابَوَالْمِيزَانَلِيَقُومَالنَّاسُبِالْقِسْطِ))[١]

وتحقيق الكفاية والأمن مقصد عام ، وهو ما امتن الله ب على قريش ، وأسس عليه أمرهم بعبادته سبحانه .((فَلْيَعْبُدُوارَبَّهَذَاالْبَيْتِ،الَّذِيأَطْعَمَهُمْمِنْجُوعٍوَآمَنَهُمْمِنْخَوْفٍ))[٢] وإشراك الناس فيما أفاء الله عليهم : مقصد عام ، ولذا علل القرآن توزيع الرسول للفيء على الفئات الضعيفة من اليتامى والمساكين وابن السبيل ، قبل غيرهم ، قال تعالى : ((كَيْلَايَكُونَدُولَةًبَيْنَالْأَغْنِيَاءِمِنْكُمْ)) [٣]

ويقول الشيخ عن المقاصد من حيث عمومها : (وينبغي أن نعلم أنها مقاصد روحية أو دينية ، فإن أول المقاصد أو المصالح التي تسعى إليها الشريعة هو المحافظة على الدين ، وهو ما يشمل العقائد والعبادات ، والدين هو جوهر الوجود ، وروح الحياة .

وهي مقاصد **أخلاقية** ، كما رأينا في تعليل القرآن للأمر بالعبادات الكبرى ، وفي الحديث (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٤]

وفي رواية الإمام أحمد :(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[٥]

وهي مقاصد **إنسانية** ، لأنها تعمل على المحافظة على كل حرمات الإنسان . دمه وماله وعرضه وعقله ، كما تحافظ على كرامته وحريته .

---

١) سورةالحديد الآية : ٢٥

٢) سورةقريش الآية ٣_٤

٣) سورة الحشرالآية ٧

٤) سنن البيهقي الكبرى تأليف: أحمدبنالحسينبنعليبنموسأبوبكرالبيهقي تحقيق: محمدعبدالقادرعطا ،دارالنشر: مكتبةدارالباز – مكةالمكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤،: ١٠ / ١٩١ رقم الحديث ٢٠٥٧١ .

٥) مسند احمد ابن حنبل تأليف: أحمدبنحنبلأبوعبداللهالشيباني،دارالنشر: مؤسسةقرطبة – مصر : ٢ / ٣٨١ رقم الحديث ٨٩٣٩ .وينظر المنتقىمنكتابمكارمالأخلاقومعاليهاومحمودطرائقها،اسمالمؤلف: أبيبكرمحمدبنجعفربنسهلالخرائطيتحقيق : أبوطاهرأحمدبنمحمدالسلقيالأصبهاني ،دارالنشر : دارالفكر – – دمشقسورية – ١٩٨٦م: ١ / ٢٦ .

وهي مقاصد **اقتصادية** ، لأنها جعلت المال من المصالح الضرورية التي تجب المحافظة عليها بكل الوسائل الممكنة .

وهي مقاصد **مستقبلية** ، لأنها لم تكتف برعاية الإنسان الحاضر ، بل وجهت اهتمامها أيضا إلى إنسان المستقبل ، حين جعلت من المصالح الضرورية التي ترعاها المحافظة على النسل.[١]

أما المقاصد الجزئية كمقصد الزكاة والصلاة فكتب الشيخ يقول عنها : قال ابن الهمام: إن المقصود من شرعية الزكاة –مع المقصود الأصلي من الابتلاء– هو مواساة الفقراء، على وجه لا يصير إلى الإنفاق بهذا يتحقق – ماديًا – قول رسول الله – صلى الله عليه وسلمفي رواية مسلم (ما نقصت صدقة من مال) [٢] فإن ذلك الجزء القليل الواجب من مال كثير نام مغل لا ينقصه أبدًا، وفقًا لسنة الله تعالى.[٣]

رأي الشيخ القرضاوي بحصر المقاصد بالكليات الخمس .

يختلف الشيخ القرضاوي مع أغلب من سبقه ممن حصر الكليات بخمس فقط ودرج على ذلك السواد الأعظم من علماء الأصول ، فقد رجح إضافة (العرض)[٤] إلى الكليات الخمس ، لكن الشيخ القرضاوي لم يكن هو أول من أضاف هذه الضرورة إلى الضرورات الخمسفأولى المحاولات في مراجعة هذا التقسيم للمقاصد الضرورية جاء عن طريق القرافي، حيث أضاف حفظ العرض إلى المقاصد الخمسة المتقدمة ، وقد وافقه في ذلك السبكي في جمع الجوامع .[٥]

---

١) ينظر السنة مصدر للمعرفة والحضارة الدكتور القرضاوي مطبعة الشروق الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٣ : ٢٣٢

٢) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٠١ رقم الحديث ٢٥٨٨

٣) ينظر فقه الزكاة الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة طبعة ٢٥ سنة ٢٠٠٦ : ٢ / ١٠٣٨ .

٤) ينظر بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية :٢٧

٥) ينظر مقاصد الشريعة لابن عاشور : ٣٠٦ ، وقد انتقد ذلك بقوله (وأما حفظ العرض في الضروري فليس بصحيح. والصواب أنه من قبيل الحاجي. وإن الذي حمل بعض العلماء – مثل تاج الدين السبكي في جمع الجوامع – على عده في الضروري هو ما رأوه من ورود حد القذف في الشريعة. ونحن لا نلتزم الملازمة بين الضروري وبين ما في تفويته حد . وينظر حاشيةالعطارعلىجمعالجوامع،تأليف: حسنالعطار،دارالنشر: دارالكتبالعلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،الطبعة: الأولى: ج٢ /٣٢٢ .

وذكر الشيخ القرضاوي إضافة العرض كضرورة سادسة وأيَد القرافي رحمه الله تعالى : حيث قال:(وهي إضافة صحيحة يجب اعتبارها .) [١]وقال أيضا معللا إمكانية الزيادة على الضروريات الخمس : (وهناك مقاصد أو مصالح ضرورية لم تستوعبها هذه الخمس المذكورة. من ذلك: ما يتعلق بالقيم الاجتماعية، مثل الحرية، والمساواة، والإخاء، والتكافل، وحقوق الإنسان. ومن ذلك ما يتعلق بتكوين المجتمع والأمة والدولة.

ويبدو لي أن توجه الأصوليين قديماً كان إلى مصلحة الفرد المكلف: من ناحية دينه ونفسه ونسله وعقله وماله. ولم تتوجه عناية مماثلة للمجتمع، والأمة، والدولة، والعلاقات الإنسانية).[٢] وقال (فلا عجب أن يكون حد القذف له مثل هذه الأهمية، وذلك أن العرض يعنيسمعة الإنسان وكرامته، وهذا جانب مهم من جوانب حقوق الإنسان؛ وإن كان العلامةالطاهر بن عاشور لم يوافق على إدخال العرض في الضروريات المذكورة، ويرى أنه لا يبلغأن يرتقي إلى مرتبة الضروريات) [٣]

وقد رد الدكتور الريسوني على الشيخ القرضاوي قائلا بقوله (إن كلام الشيخ الجليل فيه نظر من حيث أصله ومن حيث الاستدلال عليه .) [٤] وقال أيضا :(والحقيقة أن جعل العرض ضرورة سادسة توضع إلى جانب ضرورات : الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، إنما هو نزول بمفهوم الضرورات، وبمستوى ضرورتها للحياة البشرية، كما أنه نزول عن المستوى الذي بلغه الإمام الغزالي في تحريره المركز والمنقح لهذه الضرورات الكبرى. فبينما جعل الضروري هو حفظ النسل نزل بعض المتأخرين إلى التعبير بالنسب، ثم إلى إضافة العرض، وهل حفظ الأنساب وصون الأعراض إلا خادم لحفظ النسل ؟)[٥]

وأرى أن موضوع الكليات الخمس وإضافة سادس لها وربما سابع وثامن هو من المواضيع القابلة

---

١) مدخل لدراسة الشريعة الدكتور القرضاوي : ٦٠

٢) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية :٢٨

٣) المصدر نفسه : ٢٨

٤) يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه : ١١٨

٥) المقاصد الضرورية بين مبدأ الحصر ودعوى التغيير، عبد النور بزا، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤٥، ٢٠٠٧م.

للنقاش مادام الأمر هو بالأساس جهد بشري توافقت عليه مفاهيم الفقهاء من خلال الاستقراء حسب حاجة الناس وأمكنتهم ، ونظرا للتغير الكبير في المفاهيم واختلاف سلم الأولويات من عصر الإمام الغزالي وشيخه الجويني اللذين أسسا لهذا التقسيم وعصرنا الحالي فمن الطبيعي أن تكون هنالك الأرضية المناسبة للإضافة خصوصا وأن التغييرات في الحياة تزداد يوما بعد يوم ومتطلبات التجديد موجودة ما دامت لا تنال القطعيات والثوابت المعروفة .

المطلب الثالث
تأثر الشيخ القرضاوي بأئمة المقاصد

تكلمت بالمطلب الثاني من المبحث الأول عن شيوخ الشيخ القرضاوي والذين أثّروا في حياته العلمية والفكرية وكذلك المقاصدية ، وهنا سأشرع ببيان تأثر الشيخ بأئمة علم المقاصد ودورهم في تشرّب هذا الفن عنده حتى صار من أشهر من دعى له وحث طلبته إليه وألّف فيه العديد من المؤلفات ، فإضافة الى من تأثر بهم ممن عاصرهم بهذا العلم كان تأثره بالعلماء السابقين وخصوصا ما بين القرن الخامس ونهايات القرن السابع الهجري لما لهذه الفترة من تميز بإفراد هذا العلم أبوابا خاصة به وبذر القواعد الرئيسة لهذا العلم ومن أشهر هؤلاء العلماء ، الإمام الجويني وتلميذه الغزالي ، والطوفي ، والعز ابن عبد السلام والقرافي وابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والإمام الشاطبي رحمهم الله جميعا .

إمام الحرمين الجويني

من العلماء الذي تأثر بهم الشيخ القرضاوي هو إمام الحرمين حيث يقول عنه : (كان إمام الحرمين عبقري زمانه وما بعد زمانه في العلوم التي تجمع بين العقل والنقل ، وأصول الفقه ، والفقه ، وربما يظن كثير من الناس أن علم الفقه علم نقلي بحت ، وهو كذلك عند الكثيرين ، ولكنه عند إمام الحرمين ومن جرى مجراه له ارتباط وثيق بالعقل ، في التأصيل والتدليل ،والتقرير والتعليل ، وربط المسائل بجذورها ، ورد الفروع إلى أصولها ، وقيس الأشباه بأشباهها ، ومراعاة الجوامع والفوارق . ، ورعاية العل والمقاصد).[1]

١) الجويني إمام الحرمين الدكتور القرضاوي مكتبة وهبه بمصر سنة ٢٠٠٠ م : ٥٨

ويقول عنه أيضا : (تميز إمام الحرمين بالاستقلال بالتفكير ، والاستقلال بالتعبير .. وهو واضع اللمسات الأولى في مقاصد الشريعة).[١]ويقول أيضا : (هو احد عمالقة الفكر الإسلامي والعلم الإسلامي الذي شرّق صيته وغرّب واعترف بفضله القاصي والداني واثني عليه السابقون واللاحقون والمحدثون إلى يومنا هذا إمام وابن إمام وفقيه وابن فقيه اخذ العلم كابرا عن كابر.) [٢]

الإمام الغزالي

يتحدث الشيخ القرضاوي عن الغزالي ودوره بين علماء المسلمين فيقول : إنه الغزالي الذي أثَر في الفكر الإسلامي ، وفي الحياة الإسلامية ، تأثيرا منقطع النظير ، من خلال عطائه الفكري ، وعطائه الروحي ، ومن خلال قصة كفاحه في سبيل الوصول إلى الحقيقة واليقين ، والسعادة الروحية ، التي عنده هي غاية الغايات .

اجل غنه الغزالي ، الرجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، في حياته وبعد وفاته .[٣]

وذكر الشيخ أنه قد تتلمذ على كتب الغزالي واستفاد من علمه ونهل من معينه .[٤]

وقد تأثر الشيخ القرضاوي بالإمام الغزالي ومنهجه خاصة في الأولويات العملية التي تناولها في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) والذي يظهر أثره في بعض ما كتب الشيخ من أولويات ،[٥] لا سيما كتاب فقه الأولويات . فكتب عنه يقول :(ومن العلماء الذين عنوا بفقه الأولويات ، ونقدوا المجتمع المسلم بالتفريط فيه : الإمام الغزالي . وهذا ظاهر في موسوعته (إحياء علوم الدين) يجدها قارئه في أرباعه الأربعة ، وفي كتبه الأربعين ، لكنه يجدها أوضح ما تكون في كتابه (ذم الغرور)...[٦]

---

١) المصدر نفسه : ٥٨

٢) ذكر ذلك بمقال له بندوة أقيمت بمناسبة إكتمال تحقيق كتاب لإمام الحرمين وهو نهاية المطلب .على موقع الشيخ الرسمي على الشبكة العنكبوتية : http://www.qaradawi.net/news/398.html

٣) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه للدكتور يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الرابعة ١٩٩٤ م. : مقدمة الكتاب (ب)

٤) ينظر الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه : ٨

٥) ينظر مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي الدكتور جاسر عودة : ١٩

٦) في فقه الأولويات الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ٢٠٠٨ م : ٢٠٨

نجم الدين الطوفي[١]

يدافع الشيخ القرضاوي عن الطوفي الذي يعده قد وقع ضحية عدم فهم ما ذهب إليه سواء من العلماء المسلمين الذين شنوا حملة ضده وهاجموه لما رأوه من خروج عن الخط العام لعلماء المسلمين في موضوع المصلحة ومسألة تعارضها مع النص [٢]، وكذلك من العلمانيين الذين وظفوا ما قاله حسب توجهاتهم ، فكتب الشيخ القرضاوي يقول : (الواقع أن الطوفي رحمه الله قد ظلمه العلمانيون ، وظلمه الشرعيون ، فالعلمانيون جعلوه من أئمتهم الذين يرجعون إليهم بعزل الدين عن حياة المجتمع ، ويقدمون العقل على الشرع باستمرار ، والرجل بريء من ذلك . والحق أنهم خطفوا جزءا من كلامه ، وطاروا به فرحا وأشرا .

والشرعيون ايضا لم يستوعبوا كلام الشيخ ، وأخذوا بالجزء الأول من مقولته ، ولم يستوعبوا كل ما قال ، ونقل بعضهم عن بعض دون الرجوع إلى الأصل ، فأوسعوا الرجل نقد وتجريحا . وهو لا يستحق كل هذا ..وعندما عدت إلى مقولة الطوفي ، وقرأت كلامه فيها بإمعان ، تبين لي بيقين : أنه حين يذكر النص في كلامه لا يعني به إلا النص الظني في سنده وثبوته ، أو في متنه ودلالته وهذا واضح لمن قرأ كلامه كله ، ولم يقتصر على بعضه ، ولم تضلله إطلاقاته وإبهاماته ، وهو ما يؤخذ عليه فيما كتب .)[٣]

---

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين: فقيه حنبلي، من العلماء. ولد بقرية طوف – أو طوفا من أعمال صرصر في العراق سنة٦٥٧ هـ ودخل بغداد سنة ٦٩١ هـ ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤ هـ وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفي في بلد الخليل بفلسطين سنة ٧١٦ هـ .

(٢) هو ما أدعوا أنه ذكر من أنه إذا تعارض النص القطعي في ثبوته ودلالته مع المصلحة : قدمنا المصلحة ، وعلقنا النص ، وجمدناه ، لأن الأصل : أن الشرع جاء لتحقيق مصالح الناس فلا يتصور أن يعود عليها بالنقص والإبطال .

(٣) ينظر بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ١١١

العز بن عبد السلام

كثيرا ما يشير الشيخ القرضاوي إلى ما قاله العز ابن عبد السلام خاصة في الموازنات المختلفة بين المصالح والمفاسد بدرجاتها ، والتي يسميها الشيخ بفقه الموازنات ويربطها بفقه المقاصد .وقد ربط العز بن عبد السلام بين المقاصد وجلب المصالح ودرء المفاسد فقال [١]

:ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها وان هذه المفسدة لا يجوز قربانها وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك ومثل ذلك أن من عاشر إنسانا من الفضلاء الحكماء العقلاء وفهم ما يؤثره ويكرهه في كل ورد وصدر ثم سنحت له مصلحة أو مفسدة لم يعرف قوله فيها فإنه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته وألفه من عادته انه يؤثر تلك المصلحة ويكره تلك المفسدة ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله وزجر عن كل شر دقه وجله فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح) .[٢]

شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم

يصرح الشيخ القرضاوي بمحبته ومدى تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : (والإمام ابن تيمية من أحب علماء الأمة . بل لعله أحبهم . إلى قلبي ، وأقربهم إلى عقلي) [٣]

وكذلك تأثره بتلميذه الذي يسميه (العالم المحقق) ، يقول الدكتور جاسر عودة : أن الشيخ القرضاوي قد تأثر بابن القيم في تقسيمه للآراء الموجودة على الساحة الإسلامية بين مفرط ومفرّط . فالشيخ يربط دائما بين الموقف الوسطي الذي يدعو له والقسط الذي قامت عليه السموات والأرض .

---

١) ينظر مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي الدكتور جاسر عودة : ١٥

٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ٢ /١٦٠

٣) كيف نتعامل مع السنة ، الدكتور القرضاوي : ١٩٠

والشيخ القرضاوي يشير بمواضع عديدة من كتبه إلى إعلام الموقعين حيث ذكر ابن القيم عشرات من أمثلة الحيل وأبطالها عن طريق ترجيح اعتبار المقاصد الشرعية على اعتبار الشكليات والظواهر المجردة للأحكام . ويربط ابن القيم ذلك بالمقاصد .[١]

ويقول الشيخ القرضاوي معلقا على ما قاله ابن القيم من أن الشريعة عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها [٢]... يقول وهذا كلام ينبغي أن نعض عليه بالنواجذ ، وأن نواجه به الذين يتمسحون بابن القيم وشيخه ابن تيمية ، ولكنهم لم يحملوا عنهم هذه الروح ، وهذه البصيرة ، التي تنظر إلى الشريعة هذه النظرة ، وترى ذلك أساسا لتغير الفتوى بتغير المكان والزمان والإنسان ، وفقا للمقاصد والأهداف والمصالح التي راعاها الشارع عند تشريعه للحكم ، إيجابا أو استحبابا ، أو تحريما أو كراهة أو إباحة ...[٣]

شهاب الدين القرافي[٤]

صاحب الكتاب الشهير (الفروق) والذي طالما استشهدبه الشيخ القرضاوي في ثنايا كتبه وأبحاثه ،وكذلك كتابه (الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام) يقول الشيخ متحدثا عن هذا العالم الكبير :(وفي القرن السابع ، رأينا العلامة المالكي ، الإمام شهاب الدين القرافي المصري ، يعرض لأقواله وتصرفاته صلى الله عليه وسلم ، واختلاف وجهاتها ، ما بين الإمامة والقضاء والفتوى أو التبليغ عن الله تعالى ،وأثر ذلك في عموم الحكم أو خصوصه ، وإطلاقه أو تقليده

١) ينظر مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي الدكتور جاسر عودة : ١٧

٢) ينظر إعلام الموقعين : ٣ /٣ .

٣) ينظر بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ٧٨ ، وينظر مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية : ٢٠٠ الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة بمصر الطبعة السادسة ٢٠٠٩م .وينظر عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية : ٧٥ ، للدكتور القرضاوي دار الصحوة بمصر الطبعة الثانية ١٩٩٢ م

٤)هوأحمد بن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين القرافي البهنسي الصنهاجي أبو العباس ولد٦٢٦ هـ من كبار فقهاء عصره،تلقى علومه عن كبار علماء عصره ومنهم العزّ بن عبد السلام، وجمال الدين بن الحاجب، وقاضي القضاة شمس الدين الإدريسي مولده ووفاته في مصر سنة ٦٨٢ هـ .

،فيفصل ذلك تفصيلا غير مسبوق ، وذلك في كتابيه (الفروق) و (الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام)[١]

وقد وافقه الشيخ كما ذكرت آنفا بإضافة العنصر السادس إلى الكليات الخمس وهو (العرض) وقال : (هي إضافة صحيحة يجب اعتبارها).[٢]

الإمام الشاطبي

يعد الإمام الشاطبي أبرز من تأثر بهم الشيخ القرضاوي بموضوع المقاصد وصاحب المدرسة المقاصدية التي طالما استشهد بها الشيخ القرضاوي كمن غيره ، معتبرا إيّاه المرجع الرئيس بهذا العلم ، ولاسيما في كتابه الذائع الصيت (الموافقات) حيث يقول (وقد منح رحمه الله هذا الموضوع اهتماما بالغا في كتابه الفريد الموافقات ، حيث شغل الأصوليون قبله بالمباحث اللفظية ، ولم يعطوا هذا الأمر ما يستحق ، كما شغل علماء الفقه بالأحكام الجزئية ، وغفلوا عن المقاصد ، وترتب على ظهور ذلك فن الحيل الفقهية التي يضادّ معظمها مقاصد الشريعة ، وهذا ما عنى بإبطاله العلامة ابن القيم وقبله شيخه الإمام ابن تيمية . [٣] وقال :

(وقد جود الإمام أبو إسحاق الشاطبي في (موافقاته) الحديث عن هذه المقاصد وأفرد لها جزءا خاصا من كتابه ينبغي أن يراجع)[٤]

وكتب الشيخ دراسة عن الشاطبي ومنهجه في التربية ، ربط فيها بعض القواعد الشرعية المقررة والقواعد التربوية الحديثة . فمثلا ربط الشيخ من كلام الشاطبي بين قاعدة مراعاة حال المكلفين في التكليف ونظرية مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ، فكب يقول :(الشاطبي يرى أن الطريقة المناسبة لجمهور الناس ، المقدورة لأوساطهم ، هي التي تقوم على التقريب والتيسير في فهم الحقائق العلمية وإفهامها ، لا على التعمق والإيغال في التعاريف الفلسفية والاستدلالات المنطقية ، التي يصعب على الجمهور هضمها .... وبهذا يقرر إمامنا الشاطبي إحدى القواعد

---

١) السنة مصدرا للمعرفة والحضارة للدكتور يوسف القرضاوي . : ٢٧

٢) مدخل لدراسة الشريعة الدكتور القرضاوي : ٦٠

٣) ينظر الاجتهاد في الشريعة الإسلامية الدكتور القرضاوي : ٤٤

٤) بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية : ٧٩

التربوية الأساسية التي انتهى إليها فلاسفة التربية في العصر الحديث . وهي قاعدة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين .. ويقول رحمه الله : المربي يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها ، بناءا على ذلك هو المقصود الشرعي في تلقي التكالي..)[1] .

المصادر والمراجع

١- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية الدكتور القرضاوي .

٢-

٣- إعلام الموقعين لابن القيم .

٤- الأعلام خير الدين الزركلي .

٥- الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه للدكتور يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الرابعة ١٩٩٤ م.

٦- بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئيةدار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ .

٧- التربية عند الإمام الشاطبي الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة بمصر سنة ٢٠٠٤ م .

٨- الجويني إمام الحرمين الدكتور القرضاوي مكتبة وهبه بمصر سنة ٢٠٠٠ م .

٩- حاشيةالعطارعلىجمعالجوامع،تأليف: حسنالعطار،دارالنشر: دارالكتبالعلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م،الطبعة: الأولى.

١٠- رعاية المقاصد في منهج القرضاوي رؤية استقرائية تحليلية تطبيقية .الدكتور وصفي عاشور .

١١- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة للدكتور يوسف القرضاوي ، دار الشروق الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٣ م.

١٢- سنن البيهقي الكبرى تأليف: أحمدبنالحسينبنعليبنموسأبوبكرالبيهقي تحقيق: محمدعبدالقادرعطا ،دارالنشر: مكتبةدارالباز - مكةالمكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤.

١٣- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها .

١) التربية عند الإمام الشاطبي الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة بمصر سنة ٢٠٠٤ م :٣٨ _٣٩. وينظر مقاصد الشريعة عند القرضاوي للدكتور جاسر عودة : ٢٢ .

١٤- سيرة ومسيرة وهو عبارة عن مذكرات للشيخ كتبها بنفسه ووصل إلى أربعة مجلدات لحد عام ٢٠١١ .

١٥- صحيح مسلم .

١٦- علماء ومفكرون عرفتهم محمد المجذوب دار الشواف للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٩٩٢ م .

١٧- عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية : ٧٥ ، للدكتور القرضاوي دار الصحوة بمصر الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .

١٨- فهرسالفهارسوالاثباتومعجمالمعاجموالمشيخاتوالمساسلات،اسمالمؤلف: عبدالحيبنعبدالكبيرالكتانيتحقيق : د. إحسانعباس دارالنشر : دارالعربيالإسلامي – بيروت/ لبنان – ١٤٠٢هـ١٩٨٢م،الطبعة : الثانية .

١٩- في ظلال القرآن .

٢٠- في فقه الأولويات الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ٢٠٠٨ م .

٢١- قراءة في فقه مقاصد الشريعة عند القرضاوي مقال للدكتور وصفي عاشور منشور على الموقع الرسمي للشيخ يوسف القرضاوي :-http://www.qaradawi.net/articles/86 2009-12-12-10-35-10/4214.html .

٢٢- كلمة الشيخ في افتتاح الدورة التأسيسية لمركز مقاصد الشريعة الإسلامية في لندن عام ٢٠٠٥ م.

٢٣- كيف نتعامل مع السنة للشيخ القرضاوي. .

٢٤- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية الدكتور القرضاوي .

٢٥- المستصفي .

٢٦- مسند احمد ابن حنبل تأليف: أحمدبنحنبلأبوعبداللهالشيباني،دارالنشر: مؤسسة قرطبة – مصر

٢٧- مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي الدكتور جاسر عودة .

٢٨- المقاصد الضرورية بين مبدأ الحصر ودعوى التغيير، عبد النور بزا، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤٥، ٢٠٠٧م.

٢٩- مقال للقرضاوي بندوة أقيمت بمناسبة إكتمال تحقيق كتاب لإمام الحرمين وهو نهاية المطلب .على موقع الشيخ الرسمي على الشبكة العنكبوتية :
http://www.qaradawi.net/news/398.html

٣٠- المنتقىمنكتابمكارمالأخلاقومعاليهاومحمودطرائقها،اسمالمؤلف:
أبيبكرمحمدبنجعفربنسهلالخرائطيتحقيق : أبوطاهرأحمدبنمحمدالسلقيالأصبهاني ،دارالنشر : دارالفكر- - دمشقسورية - ١٩٨٦م .

٣١- ينظر فقه الزكاة الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة طبعة ٢٥ سنة ٢٠٠٦ .

٣٢- ينظر مقاصد الشريعة لابن عاشور .

٣٣- يوسف القرضاوي ، كلمات في تكريمه لمجموعة من العلماء . جمع وترتيب عبد العظيم الديب ، دار الكتب القطرية ٢٠٠٣ م .

٣٤- يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء ، الشيخ عصام تليمة ، دار القلم دمشق ط١ ، ٢٠٠١ .